الإنسان العربي بين خطر الهويات الطائفية و الهوية الموحدة

د. دهاش الصادق: أستاذ محاضر قسم (أ).

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة علي لونيسي (البليدة2)- الجزائر

dahaches@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2018/01/07؛ تاريخ القبول للنشر: 2018/12/11

الملخص:

يتناول موضوع الدراسة إشكالا تاريخيا وقانونيا عانت منه الأمة الإسلامية منذ زمن طويل ولا زال، إنه مشكل الطائفية في جانبه السلبي، هذا المرض الاجتماعي والانساني الخطير الذي أتى على الأخضر واليابس، فأصبح الانسان العربي المسلم وخاصة في المشرق العربي، يتحزب ويتعصب لطائفته الدينية أو اللغوية أو القبلية أو السياسية، أو القومية، في زمن صار فيه الفرد ينخرط في تكتلات وطنية وقومية وإنسانية أوسع وأرحب، مبنية على معرفة الانا للآخر، وتعاونهما وتضامنهما، من دون أن يذوب الواحد منهما في الآخر، وذلك في اطار احترام خصوصيات الآخر، مع تحقيق الاتصال والتواصل والحوار الديني، الإعلامي، الثقافي والحضاري.

الكلمات المفتاحية: الهوية؛ الطائفية؛ الفكر القبلي والعشائري؛ الأقليات؛ الانتماء؛ التعصب.

Résumé:

Le sujet de l'étude traite un problème est Un thème historique et juridiques que la Ouma islamique a soufferts depuis longtemps. C'est le problème du sectarisme sur son côté négatif, la grave maladie sociale et humanitaire qui a amené le vert et la terre. L'homme musulman arabe, notamment dans le Machrek arabe, tribal ou politique, ou national, à l'heure où l'individu est engagé dans des blocs nationaux, nationaux et humanitaires et plus larges et accueillants, fondés sur la connaissance mutuelle, la coopération et la solidarité , sans se fondre, dans le respect de la vie privée de l'autre, dialogue religieux, médiatique, culturel et civilisationnel.

Mots clés: Identité; Le sectarisme; Pensée tribale Minorités Affiliation; Intolérance.

Abstract:

The subject of the study deals with historical and legal problèmes That the Islamic Uma has suffered for a long time. It is the problem of sectarianism on its negative side, the serious social and humanitarian disease that has brought on the green and the land. The Arab Muslim man, especially in the Arab Mashreq, Tribal or political, or national, at a time when the individual is engaged in national blocs, national and humanitarian and broader and welcome, based on the knowledge of each other, and cooperation and solidarity, without melting each other, in the framework of respect for the privacy of the other, Religious, media, cultural and civilizational dialogue.

Key words: Identity; Sectarianism; Tribal thought; Minorities; Affiliation; Intolerance.

المقدمة:

يعاني العالم العربي والإسلامي اليوم من مشكل خطير وعويص هو فقدان الهوية والانسلاخ منها والتذمر منها والكفر بها أحيانا أخرى، لا لشيء إلا لأن طائفة من المجتمع العربي تأثرت وتشبعت بأفكار وتيارات فكرية هدامة غربية إلحادية وتغربية وعلمانية ومثالية ووجودية، مع التنويه هنا بغياب مشكل الطائفية في الجزائر وشمال إفريقيا عامة لعموم المذهب المالكي، ومما زاد الطين بلة فقد عملت على تأجيجها وسائل الإعلام المختلفة (العولمة الإعلامية، والثقافية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية).

وهكذا فإن مسألة الهوية الطائفية، بقدر مساهماتها في جمع عناصر طائفتها، بقدر ما تعمل أحيانا، الابتعاد عن مسألة الهوية الجامعة المانعة، التي تحتوي على فضاء هويتي، يتسع للجميع دون تهميش أو إقصاء لأية مكون من مكونات المجتمع العربي الإسلامي، الغني بانتماءاته الدينية، العرقية، الجنسية، المذهبية، الطائفية والقومية، خاصة وأن مصطلح الغيرية هو نفسه أو قريب من مفهوم الهوية، وأن الآخر يعد من أهم أبعاد الهوية.

ولذلك حاولنا أن نجيب على هذه الإشكالية من خلال المحاور التالية : هل يمكن للإنسان العربي المسلم أن يحقق ذاتا واحدة موحدة بعيدة كل البعد عن معوقات الطائفية، وهل الانتماء الطائفي أو المذهبي يعتبر هوية اجتماعية أم هوية دينية؟، بمعنى آخر هل يمكن أن تتعايش مكونات المجتمعات العربية حتى لا أقول يذوب كل هذا الكوكتيل المجتمعي العربي في هوية واحدة جامعة وحامية للكل، ومدافعة عنها، وممثلة لها في الداخل والخارج، أي تطبيق المساواة الحقيقية فيما بينها، في جو يسوده الحوار، التفاهم، التضامن، التسامح الديني والثقافي والفكري والحضاري، علما بأن الطائفية ليست هي الدين أو التديّن، وهل يمكن إقامة علاقة مع الغير دون هيمنة وتسلط من طرف على طرف؟ ومتى تكون الغيرية عامل تهديد للذات من جهة وعامل اضافة واثراء لها من جهة ثانية؟.

ا - تأصيل مفهومي الهوية والطائفية :

1- مفهوم الهوية:

اختلف المثقفون والكتاب في تحديد مفهوم الهوية، فهو مصطلح فضفاض له عدة معاني، فالبعض يساوي الهوية بمفهوم الوطنية، خاصة وأن الهوية كلمة مفتوحة وغير ثابتة، تتغير بتغير المكان والزمان والأجيال، و في الغالب فإن الهوية الدينية واللّغوية هي المسيطرة في أغلب الدول العربية والإسلامية على باقي عناصر ومطالب الهوية الجماعية أو الجمعية، مما يستدعي التدخل السريع، لإيجاد حل مستعجل لهذا المشكل الكبير الذي يكاد يعصف بكيان الأمة العربية والإسلامية، والذي يتحتم اتباع سياسة التكتل والوحدة والتضامن في جميع المجالات، وأن تدخل الدول العربية بصوت واحد موحد، في المحافل السياسية والثقافية والاقتصادية الدولية، لمواجهة تداعيات العولمة المكتسح للكيانات الصغيرة والضعيفة، فإعادة ترتيب البيت العربي، والتموقع من جديد في اطار هوية شاملة جامعة، أضحى أكثر من ضرورة وواجب. وفي الحقيقة حتى نفهم الهوية جيدا علينا التعريج على بعض عناصرها الأساسية وهي : الانتماء، الولاء، التصنيف، المقارنة، الوعي بالذات، الارتباط بالمكان .

وفي حقيقة الأمر فإن ظاهرة الانقسام والتشتت والتشرذم، أدت إلى نزاعات محلية وإقليمية ودولية، أضرت كثيرا بصورة الأمة العربية والإسلامية، مما يستدعي إعادة

النظر في المنظومة الفكرية والأخلاقية للأمة العربية التي فبركها لها الاحتلال الأوربي، الذي عمل دوما على طمس معالم الشخصية العربية الإسلامية، و لغّمها بقنابل موقوتة، ودس سموما قاتلة بينها، كمشكل الحدود المعبر عنه بالإرث المسموم، والازدواج اللّغوي،، وسياسة فرق تسد من أجل التفريق بين مكونات عناصر الأمة، وتفضيل قومية على أخرى، وإحياء النعرات الفقهية والسياسية والمذهبية والطائفية القديمة، ويبقى الحل في كل هذا هو الاتفاق على نمط هوية مشتركة تعبر عن جميع الجسم العربي بمختلف أطيافه الفكرية والسياسية والثقافية.

وإذا رجعنا إلى المعاجم والقواميس العربية نجد أن مصطلح الهوية مأخوذ من كلمة هو (الهوية)، بضم الهاء وكسر الواو وتعني استعمال حادث، أما (الهوية) بفتح الهاء وتعني المكان الذي به هوة عميقة سحيقة كالبئر مثلا[1]، وفي الحقيقة هناك عدة تعاريف أعطيت للهوية، وأهم تعريف استوقفني، هو تعريف الدكتور محمد عمارة، الذي شبه فيه الهوية بالبصمة والشفرة، التي تميز الأفراد عن بعضها البعض، ومن خلالهما يتعرفون عن ذاتهم، ويتعرف الآخر عنهم، ويتعرفون عنه[2].

ومن ناحيته عرّفها الكَفوي صاحب القواميس والمعاجم بقوله " أن ما به الشيءُ هو باعتبار تَحَقُّقِه يسمى حقيقةً وذاتاً، وباعتبار تشخصه يسمى هوية، وإذا أَخَذَ أعمَّ من هذا الاعتبار يسمى ماهية.. أن الأمر تعقل من حيث إنه مقول في جواب (ما هو)، يسمى ماهية، ومن حيث ثبوتُه في الخارج يسمى حقيقة، ومن حيث امتيازه عن الأغيار يسمى هوية"[3].

من خلخلة اجتماعية خطيرة، سببها التقوقع حول عنصر واحد فقط، من عناصر الهوية العربية الإسلامية الواسعة، فالواقع العربي الإسلامي ينذر بخطر شديد فيما يخص هويته التي تعرضت لاختراقات وضربات مؤلمة من قبل الغرب. ولكي ينجح مشروع

(1)- محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، مادة هوا، ج15، ط1، دار صادر بيروت، ص371.

(2)- محمد عمارة : مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، سلسلة " في التنوير الإسلامي، ع 32، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1999، ص10.

(3)- أبو البقاء الكفوي، الكليات، تحقيق د. عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت 1995، ص961.

الهوية العربية الإسلامية الجامعة المرجو والمأمول، كان على الانسان العربي المسلم أن يتخلص، أو يحد من كل ما يضيّق من أفق هذه الهوية الفضفاضة، كالفكر القبلي والعشائري والمذهبي والطائفي والقومي، وذلك بأن لا يكون مفهوم الهوية، مقتصرا على الانتماء العربي فقط، بمعنى التحزب والتعصب لكل ما هو عربي في جنسه ولغته، وإهمال ومحاصرة كل اللّهجات والقوميات المخالفة للأمة العربية والإسلامية، فالأحسن والأفيد، حسب رأي الشخصي، هو عدم حصر الهوية في دم وتاريخ واحد، ولغة واحدة، على أساس الوطن الواحد، والعلائق البشرية المختلفة، عبر الزمن الطويل، بل من المستحسن، إبقائها هوية إسلامية، بأبعادها الثلاثة وهي: الدين، اللغة والثقافة الإسلامية.

1- مفهوم الطائفية:

إن مصطلح الطائفية من المصطلحات التي استعملت ووظفت كثيرا من قبل الحكام، لبسط سلطتهم على الدولة، وكذلك الدول الأجنبية، التي حاولت أن تضرب الدول القومية بالطائفية، فأطلقت عليها حماية الأقليات، التي أصبح لهم حقوق على الدولة التي ينتسبون إليها، فلهم قانون خاص بهم رسمته منظمة حقوق الانسان الدولية، هل الطائفية مفهوم ديني، أم عرقي، أم ثقافي، أم إديولوجي، أم هي تجمع كل ذلك، "فالطائفية رابطة عشائرية، تكون بين أبناء المذهب الواحد، ويتحول الرابط المذهبي إلى ما يشبه رابطة الدم بين أبناء القبيلة، ومن هنا نلحظ تغييب التمايزات بين الأفراد المنتمين إلى الطائفة"[1].

ومن نافلة القول فإن المجتمعات التي تعرف مشكل الطائفية، هي التي تعرف عدم الاستقرار في نسيجها السياسي والاجتماعي، و تعيش هشاشة في نظامها السياسي والديني، بمعنى آخر أن الطائفية تعشعش في الدول غير الديمقراطية، وتتواجد في الشعوب المتخلفة التي تعاني من الفراغ الديني والفقر الفكري والثقافي والحضاري، لذلك فالطائفية ظاهرة اجتماعية وسياسية، تكون في كثير من الحالات أخطر من أي مشكل قد تسببه أية مذهبية، خاصة وأن مفهوم الطائفية مفهوما سياسيا حديثا، فهي

(1)- بدر الإبراهيم، النزاعات الطائفية في منطقة الخليج، الدوحة 2012، ص3.

ظاهرة معاصرة، لأن خطرها يتعدى إلى جميع المناطق المجاورة، كما هو حادث اليوم بين السنة والشيعة في سوريا والعراق ولبنان واليمن، والبحرين، والله أعلم أين يحط رحال الطائفية بعد ذلك، ويمكن التأكيد على أن "انقسام أبناء الطائفة الواحدة شر مستطير، أما انقسام اللّبنانيين إلى طوائف متناحرة، فهو إن كان شرا يبقى أقل خطرا على الوجود"[1].

ولكن الطائفية السياسية كظاهرة ونظام سياسي قائمة في لبنان فقط، علما بأن المسألة الطائفية ليست هي ظاهرة إسلامية، أو هي وليدة الصراع السني الشيعي، فكانت تعرف في التراث العربي الإسلامي بعدة مصطلحات: كالنحلة، فرقة، جامعة،، قبيلة، عصبة، عشيرة، ملّة، بل الطائفية ممارسة قديمة عرفتها أغلب الدول والحضارات الماضية، مما نتج عنه خسائر كبيرة في الارواح والاقتصاد والتجارة والاستثمار، وهذا كله بسبب التعصب الأعمى للمشكل الطائفي، فالطائفية ظاهرة شديدة التعقيد، وتحولها إلى ظاهرة سياسية، يكون الخطر الأكبر المحدق بالأمة، لذلك حذّر منها السيد حسين موسى الصفار، عند تعريفه لها، قائلا: "هي اعتماد سياسة التميز الطائفي بين المواطنين، وتشجيع حالات الصراع المذهبي لأغراض سياسية"[2].

فالطائفية مرض خبيث، يبقى ينخر جسم الأمة إلى أن يضعفها ويشتت قواها، فيوقعها فريسة سهلة في يد الاحتلال الأجنبي، لا لشيء إلا لأن الطائفية تدعو إلى التطرف والتعصب بجميع تفاصيله وامتداداته الحديثة، كإضعاف سيادة الدولة، ويصبح الولاء الطائفي، سابق للولاء الوطني، مما يعني أن نظام المواطنة يكون في خطر كبير.

II- الهوية الطائفية:

توجد عدة أقسام للطائفية، منها الطائفية الثقافية، ولها خطابها الخاص، وعلينا أن نستقرئه بدقة وتبصر، حتى لا نقع في شراك تعقيد مشكل الطائفية، "ولا يمكن أن نفهم المسألة الطائفية في بعدها الثقافي إلا في إطار الحديث عن الهوية وتداعياتها،

(1)- طارق متري، "عن المواطنة في لبنان"، مجلة العربي، عدد631، الكويت جوان 2011، ص122.

(2)- حسين موسى الصفار، الطائفية بين السياسية والدين، المركز الثقافي العربي، 2009، ص7.

فالخطاب الطائفي، يرتكز على خطاب هوية مضخم، ومأزوم وموهوم، تثير هويات الحركات الدينية المتشدّدة، عدّة إشكاليات في زمن تداخلت فيه الانتماءات وتعقدت، فأصبحت بعض الحركات لغزاً مبهما لا يعرفه أحد، وأصبح الخطاب الطائفي خطاباً متشابك الدلالات، ومتداخل القضايا، يحتاج إلى مختلف أدوات تحليل الخطاب، لفهمه وتمثله، واستشراف مساراته"[1].

لقد تعرضت الهوية الإسلامية للأسف عبر مختلف مراحل التاريخ الطويل إلى ضربات موجعة، إلى درجة أننا أصبحنا " نعيش اليوم زمن الهويات القاتلة بامتياز، وهي هويات تقوم أساساً على ثقافة دينية موهومة وانزياحات خطرية، أربكت أسس الثقافة الإسلامية، وحولتها من ثقافة اعتدال وسماحة وعيش مشترك، إلى ثقافة غلو وكراهية، وتقاتل، بين أبناء الملة الواحدة، والوطن الواحد، والفرقة الواحدة، ويتطلب منا ذلك القيام بمراجعات جذرية، تعيد الثقافة إلى أصالتها وتحررها، من تورم طال عهده"[2].

ولم تكن الطائفية قضية عابرة، حتى يتم القضاء عليها بسرعة وسهولة ويسر، وإنما بداية البدايات هو أن نقف على معرفة أركان أعمدتها وأسسها البارزة، حتى يتسنى لنا وضع خطة متماسكة ومتناسقة، للقضاء على المشكل الطائفي في العالم العربي والإسلامي، لذلك قدم لنا الاستاذ علي بن مبارك خمسة مقومات رئيسية للخطاب الطائفي وهي: الخطاب الطائفي لا يعرف بنفسه، إلا من خلال انتقاد بقية الجماعات والسخرية منها والتهكم عليها، ادعاء الأفضلية والريادة، الخلط بين التاريخ والذاكرة، وزعم امتلاك الحقيقة والخلاص الأبدي، والتركيز على فكرة المظلوميةّ، وكراهية الآخر الأدنى، أعمق من كراهية الآخر الأقصى[3].

III- عوامل ظهور الهويات الضّيقة:

مرت الأمة العربية والإسلامية بظروف تاريخية صعبة ومحرجة للغاية، وكان المتسبب فيها بالدرجة الأولى الاستعمار الأوربي الحديث، الذي كثّف من نشاطاته

(1)- علي بن مبارك، "الطائفية ومقومات الخطاب الطائفي: تأملات واستشرافات"، سلسلة ملفات بحثية، الطائفية، الدراسات الدينية، إشراف بسام الجمل، يوليو 2016، ص55.

(2)- نفسه، ص56.

(3)- نفسه، ص61-62.

المعادية للهوية العربية الإسلامية، فعمل على تشويهها وطمس معالمها، فشجع بذور الاختلاف المذهبي والطائفي بهدف هدم وحدة الهوية العربية والإسلامية، ليسهل عليه إخضاع وإلحاق العرب والمسلمين بمشروعه الاستعماري الاستدماري.

وتشكو الهوية العربية الجامعة المتضامنة، منذ ظهور الإسلام على مسرح الأحداث إلى اليوم، من عدة تحديات داخلية وأخرى خارجية، وأهم تحدي داخلي هو انتشار ثقافة الجهل، الانعزال والتقوقع على الذات، مما أدى إلى ظهور حب الذّات وكره الآخر، وعدم التواصل معه ومقاطعته وإدارة الظهر له، مما انعكس سلبا على تفكير وثقافة وحضارة الانسان العربي.

أما التحدي الأكبر الخارجي، فيتمثل في خطر العولمة الثقافية المتوحشة، التي تعمل بإصرار وترصد، على اقتلاع الإنسان العربي المسلم من جذوره وانتمائه الوطني والقومي واللّغوي والتاريخي. ولذلك يعد أنسب حل عادل ومعتدل، هو التأسيس الفعلي لمشروع مجتمع عربي إسلامي متوازن، يسير تجاه مشروع هوية واسعة مكملة لبعضها البعض، - والتي يسميها الشاعر والمفكر السوري أدونيس(الهوية غير المكتملة)-، تجمعهم في ذلك المصالح المشتركة، التي تعمل على بناء أوطان عربية غير طائفية وغير مذهبية، لأن جوهر العولمة، يمثل خطرا زاحفا، على أصحاب الهويات الضيقة الضعيفة سياسيا، ثقافيا، اقتصاديا واجتماعيا، والتي غالبا ما تكون متصارعة ومتخاصمة ومتعادية، لأنها تفتقر لمقومات التكتلات والتجمعات الكبرى، التي تتوفر على خصوصيات أصحاب الهوية الجماعية، لأنه في الحقيقة، هوية النحن أقوى على هوية الانا أو الفرد، في التصدي لجميع المخاطر المحلية والإقليمية والدولية.

ومن أهم عوامل وجود الهوية الضّيقة حسب رأي الشخصي، هو تفشي ظاهرة الانانية الفردية، والتي للأسف بدأت تتحول إلى أنانيات جماعية في بعض الدول العربية، فعندما يصير الانسان يحب إلا نفسه أو أسرته، أو أقاربه، أو مسقط رأسه فقط، ولا يهمه أحيانا إلا وطنه الجغرافي الضّيق، فإن ذلك لا يفسر إلا بتفكك الهوية الوطنية والقومية، وهنا تكون الطامة الكبرى؛ لأن التضامن القومي يبدأ في الفتور والتراجع، أنظر مثلا القضية الفلسطينية، كيف كانت قضية محورية، وكيف صارت قضية اختلاف حتى بين الفلسطينيين أنفسهم.

كانت القضية الفلسطينية محور القضايا العربية على الإطلاق، فهي القضية الأم التي وحّدت العرب، أو توحد حولها العرب، أما الان مع الضعف العربي والإسلامي فحدث ولا حرج، فبعدما كانت فلسطين قضية جوهرية عربية وإسلامية، تحولت اليوم إلى قضية تخص الفلسطينيين وربما فصيلا واحدا منهم، وهذا إن دل على شيء، إنما يدل أساسا على الترا جع الرهيب والمقزز لمفهوم الانتماء والهوية، فطغت الهوية الضيقة (الطائفية) على الهوية الجماعية الوطنية، والقومية والإسلامية والعالمية، وعليه فعلى العرب أن يقرؤوا هويتهم من زاوية أنها ليست انتماء لمنطقة جغرافية معينة، ولا لقومية بعينها، وإنما هي وعي بهذا الانتماء ووجوب المحافظة عليه وتطويره، يكون باحتواء جميع مكونات هذه الهوية أو تلك، فالهوية كالشجرة المثمرة تسقى بعرق ودماء أبنائها، فبقدر ما تقدمه لها تعطيه لك، إن كان عسلا مصفى أو حنظلا مروى.

ويعتقد البعض بأن الهوية العربية مشروع عربي نهضوي، وأن العائق الأكبر لتحقيق هذا المشروع هو الهوية الطائفية[1]. ويتفق مع هذه الرؤية كثير من المؤرخين والمحللين السياسيين، وعلى رأسهم لورنس ج. بوتر وهو استاذ مشارك وملحق سابق في الشؤون الدولية في جامعة كولومبيا، الذي يعتقد "أن المخالفات الطائفية والمنافسة تشجعها الحكومات التي تستفيد منها سياسياً"[2].

ومن جهة أخرى يعتقد الاستاذ أبو عنزه، بأن الهوية الدينية والطائفية يؤديان إلى هيمنة المقدس الميتافيزيقي على العقل، الذي يؤدي بدوره إلى التعصب الديني، الذي يتطور من معتقد إلى هوية جوهرية، تتعالى على النقد والتشكيك والمساءلة العلمية[3]. ولكن في مقابل ذلك، فقد أحيا وعزز بعض الحكام العرب الهويات الطائفية والعرقية، ونعني بها ما يسمى سوسيولوجيا، هويات ما قبل الدولة، وما قبل الهوية الوطنية، بحيث بات الخوف قائما على الهوية الوطنية، أهم وسابق على الانشغال بالوحدة

(1)- محمد همر أحمد أبو عنزه، "واقع إشكالية الهوية العربية بين الأطروحات القومية والإسلامية" دراسة من منظور فكري، رسالة ماجيستير في العلوم السياسية، كلية الآداب والعلوم السياسية، جامعة الشرق الاوسط 2011، ص91.

(2)- نفسه، ص2.

(3)- نفسه، ص93.

الوطنية، والهوية الوطنية[1].

وإذا دققنا في الأمر جيدا، ونظرنا إلى المسألة من كل الجوانب، فإننا نجد الهويات الضّيقة وعلى رأسها الهوية الطائفية، تنتشر وتنمو في المجتمعات غير المستقرة في بناها الاجتماعية، وبالتالي تعيش هشاشة في سياستها الداخلية والخارجية، وضعف اقتصادي، وتراجع المستوى التعليمي للأفراد، وسيطرة ظاهرة الاستبداد، واللاّنظام، أو التي صار يصطلح على تسميتها بالفوضى الخلاّقة، وتنحسر وتتراجع الهوية الطائفية، عندما تطغى عليها الهوية الجامعة الموحدة، كالهوية الوطنية والقومية والثقافية.

وفي الحقيقة فإن فكرة تعدد الأقطار والأوطان هو الذي كان وراء تعدد الهويات، وبذلك لم يقض على وحدة الهوية العربية وفقط، بل أضعفها وقيّدها، وقلّل من شأنها، وأنقص من فوائدها الحضارية، لذلك عجزت عن تحقيق الوحدة السياسية بين أقطارها "لأن مبدأ الهوية يقوم على الوحدة التي لا تتجزأ، ولأن الهوية ذات، والذات لا تتعدد"[2]، إن مصيبة المصائب، هو أن مسؤولية تكريس الطائفية والقبلية لا يتحمله جزء من المجتمع العربي وحسب، بل وكذلك بعض الحكام والمسؤولين العرب، الذين كانوا أحيانا يساعدون في خلق العزلة والتباعد والتعصب بين الجماعات، مما يعني عدم قدرة السلطة في إيجاد نمط ديموقراطي حقيقي، فأصبح هم هذه الجماعات، هو البحث عن أمنها بدل أمن الدولة والوطن[3].

وقد تتحرك الطائفية، بفعل داخلي، أو بدافع خارجي، وهو الأخطر والمؤلم، فمثلا يسعى الإسرائيليون الصهاينة، إلى إيجاد دولة يهودية خالصة، وهم يشجعون ويرحبون بأي نوع من التفتيت في العالم العربي، على أسس طائفية وجهوية، فيدعمون مثالا الحركة الانفصالية في السودان، التي أنتجت دولة في جنوبه، ويدعمون بعض موارنة لبنان من أصحاب المشروع التقسيمي والتفتيتي، تحت غطاء عناوين الفدرالية، والحكم

(1)- نفسه، ص109.

(2)- أحمد بعلبكي وأخرون، الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، تحرير وتقديم رياض زكي قاسم، سلسلة كتب المستقبل العربي(68)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2013، ص 36.

(3)- نفسه، ص170.

الذاتي، والحال نفسه ينطبق على الأكراد في شمال العراق[1].

وفي الحقيقة الظلم، والقهر والاستبداد، يؤدي هو الآخر، إلى ظهور قضايا اجتماعية غير متوازنة، تفتقر إلى المساواة، ولذلك عندما نقارن بين فئة الأغلبية وفئة الأكثرية، فنجدهما يتميزان بعدم التماثل بين مكوناتهما ؛ فمجموعةّ الأغلبية، تمتلك القوة والموارد المختلفة، مما يضعها في مكانة الأقوى بكثير من مكانة الأقلية، لذلك يرى أعضاء مجموعة الأقلية، هذه الوضعية بأنها غير شرعية، ويحاولون تغييرها[2].

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح مستمر، هو كيف عجز العرب والمسلمين على إدماج الأقليات في مجتمعاتهم المدنية والاجتماعية، في حين نجح الصهاينة في ذلك، من خلال ما اصطلح على تسميته بتطبيق سياسة "فرن الصهر"، وبالتالي نجحوا في خلق ثقافة موحدة لجميع المجموعات اليهودية غير المتجانسة المهاجرة والمهجّرة إلى فلسطين، وكان لهم ذلك، بعد إفراغ الارض من سكانها الأصليين، وملأها بالشتات اليهودي المهاجر إلى أرض الميعاد "فلسطين"، وفي الحقيقة كان سبب النجاح، هو استغلال جهاز التربية والتعليم، لتحقيق هذا الهدف، في حين عانى فلسطينيو الداخل، وعلى مدار عقود من سياسة التمييز، ومظاهر العنصرية، الإقصاء، التهميش، ونزع الثقة[3].

والأهم من ذلك كله، هو أن الطائفية تعيش في الدول التي تغيب فيها الديمقراطية، ويكثر بها الظلم والاستبداد وغياب العدل، فلبنان مثلا هو الطائفية بعينها، لأن أية دولة " مؤسسة على الطائفية ليست بدولة، وإنما مجموعة من القبائل"[4]؛ لأن النظام الطائفي، هو الأسوأ بين الانظمة في الدول العربية، وهو المقوض للوطنية والقومية والديموقراطية، فالمحاصصة الطائفية للوظائف في لبنان تحديدا

(1)- بدر الإبراهيم، المرجع السابق، ص2.

(2)- هشام جبران، "الخصوصية الثقافية في المجموعات البؤرية: نحو بناء آليات عمل جديدة "، مجلة الحصاد، عدد5، الكلية الأكاديمية بيت بيرل، 2015، ص35.

(3)- خالد عرار وفادية إبراهيم، "تعاطي المديرين والمعلمين مع قضية التربية والتعليم العربي مع قضية التربية للهوية القومية "، مجلة الحصاد، عدد5، الكلية الأكاديمية بيت بيرل، 2015، ص45.

(4)- أدونيس، الهوية غير المكتملة، بالتعاون مع الروائية الفرنسية شانتال شواف، تعريب حسن عودة، بدايات للطبع والنشر والتوزيع، دمشق 2005، ص17.

للأسف، مبنية ليس على المؤهلات العلمية والكفاءات العالية، أو التفوق الثقافي، وإنما على الأسلوب والنمط الطائفي، وكذلك المحاصصة السياسية التي تجعل الرئاسة بيد المسحيين، ورئاسة الحكومة للمسلمين السنة، ورئاسة البرلمان للمسلمين الشيعة، ورغم ذلك، حقق هذا النظام، نوعا من الديمقراطية، التي غابت عن كثير من الدول العربية والإسلامية، على الرغم من صغر مساحتها وضعف إمكانياتها الطبيعية والمادية.

وفي الحقيقة هناك جملة من العوامل الخارجية ساهمت بصورة مباشرة في نشر الفكر الطائفي والمذهبي في العالم العربي من ذلك ما يراه الدكتور رابح لونيسي بأنه لإقامة هذه الدولة الرأسمالية العالمية لابد من القضاء على كل الثقافات والحضارات، بل إمكانية إبادة الشعوب التي ترفض الخضوع، وبعبارة بسيطة فإن هذه الطبقة البرجوازية العالمية يمكن ان تكرر ما فعلته البرجوازية الوطنية وبعض الطبقات الحاكمة في الماضي، من عنف ومحو الثقافات لتضع مكانها الثقافة الرأسمالية الغربية، حيث إن إبادة مختلف الثقافات والشعوب يمكن أن لا يحدث بشكل مباشر، بل يُستعمل الضغط، حيث ستهدد الثقافة الرأسمالية الغربية هويات الشعوب، فتدفعها إلى الانغلاق على ذاتها لحماية هذه الهويات، مما يؤدي إلى بروز قوى على الصعيد المحلي تتصدى للمشاكل اللّغوية والعرقية والدينية والقيّمية[1]. وفي مجمل القول، كان لغياب مشروع نهضوي عربي، أن يؤدي بنا إلى الإبقاء على التشكلات النخبوية العصبوية، والقبلية والطائفية والدينية والثقافية القديمة، أنُ يرسخ وجودها، ويؤكّد فاعليتها[2].

وفي هذه الحالة الشائكة والخطيرة، يكون لا فرق بين من نادى، أو قد ينادي، "بالفرعنة أو الفينقة، أو الكنعنة، أو الأوشرة، أو السومرة، أو البلنة، أو الأومرة، أو الأورمة، أو الفرسنة، أو الصوفنة، أو الشيعنة، أو التركنة، أو السنينة، أو غير ذلك من تشظيات عنصرية، وشعبوية، ومذهبية وطائفية وعرقية ودينية وأيديولوجية، وماضوية، وذاك الذي ينادي، جهارا، وتتوج إلى إقامة عالم تتسيّد عليه، وتحتكره

(1)- رابح لونيسي، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصر بين الاتفاق والاختلاف 1920-1954، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2012، ص44-45.

(2)- عبد الرحمن بسيسو، "هياكل فارغة النخب والناس "، مجلة الجديد، العدد3، أفريل/نيسان، العراق 2015، ص51.

لنفسها، نخبة النخب من الناس، أو الناس الذين هم الناس، لأنهم وحدهم الأخيار، المصطفون من إله قيل إنه قد قال إنهم شعبي؛ لأنهم هم وحدهم البشر الحقيقيون"[1].

1 وهنا يتساءل الباحث الفلسطيني عبد الرحمن بسيسو، صاحب مقولة "علينا قراءة التراث بعيون الأحياء لا بعيون الموتى"، عن من يقف وراء تشظية المجتمعات العربية وجعلها تدخل في منازعات داخلية تلهيها عن قضاياها المصيرية الكبرى قائلا "ومن هم من بين الذين يعيشون بيننا، أو من بين ناسنا، أولئك الذين ارتهنوا أنفسهم وحاضرهم ومستقبلهم لقوي، أو لسلطان جائر، أو لأقوياء قساة ومستعمرين غاشمين، فكانوا محض حمالي حطب محليين يرفدون المحرقة المنصوبة على امتداد بلاد العرب بالحطب، ولن يؤلوا في خاتمة المطاف إلى شيء سوى أن يكونوا تلقوا، ذات أحطاب جافة لحظة يستوجبها انتهاء الوظيفة وفقدان الحاجة إلى دفع الأجر، في المحرقة نفسها"[2].

IV- الطائفية تعصف بالهوية العربية الموحدة:

إن بداية المقام ولسان الحال، يحتم علينا طرح السؤال الجوهري التالي: هل تنوع الهويات يعصف بالهوية العربية الموحدة؟ وهل الطائفية تلغي الهوية الموحدة ؟ وهل تعد الطائفية جزءًا من الهوية؟، في الحقيقة من الصعب الوصول إلى إجابة واضحة، محددة وفاصلة للموضوع، وإنما تبقى مجرد اجتهادات ورؤى فردية، ولكنها مؤسسة على دراسات منهجية وعلمية، مبنية على أسس منطقية، و أدلة تاريخية، واجتماعية وسياسية، وعليه فإن "الروح الطائفية والتعصب الديني الأعمى والمنطق العرقي.. كل ذلك لا ينهي هوية، ولا يهدم أخرى؛ لأن التطور الاجتماعي، والصيرورة التاريخية، وحدهما يمهدان ويساعدان على نمو الهوية"[3].

لأنه من أهم شروط ميلاد الهويات الجامعة، هو طول المدة التاريخية، فالهوية الحقيقية، لا تنضج إلا عبر أزمنة وأمكنة موغلة في التاريخ، فهي تحتاج إلى عمل وبناء

(1)- نفسه، ص53.

(2)- نفسه، ص53.

(3)- أحمد بعلبكي وأخرون، المرجع السابق، ص 39.

جاد وشاق، يشارك فيه الجميع، ويتشكل على نار هادئة، فتكون هذه الهوية هي الضامنة الوحيدة لمستقبل الأجيال، فهم مسؤولون لأن يرعوها، ويقومون بتطويرها، وحمايتها من كل التحديات، والأخطار الداخلية والخارجية، لأنه من شروط ظهور قومية ما، "ولادتها في ظروف موضوعية، لا ظرفية، وقدرتها على تأمين ذاتها بذاتها"[1].

وهل تتوافق هوية الطوائف الدينية، والمذهبية العربية، بهويتها العربية الجامعة؟، وفي حقيقة الأمر عندما يتفحص القارئ جيدا، حقيقة هوية العرب المسلمين اليوم، فإنه يتوصل إلى نتيجة واحدة، وهي أن هويتهم إسلامية في عمومها، لكن واقعهم يقول غير ذلك، فهم مقسمون إلى قبائل، وطوائف، يتناقض ولاءهم لها مع الولاء الديني، والوطني والقومي[2]. وما يلاحظ على الهوية العربية الراهنة، غلبة البعد القطري على البعد القومي، بحيث تشهد الهوية القومية تراجعا لمصلحة الهويات الوطنية القطرية، غير أن الهوية القومية في ظل تشكل الدول القطرية، والهويات الوطنية، أصبحت طموحا وهدفا غير ملموس، وصعب المنال[3].

وفي الحقيقة الهويات القطرية الانفصالية، خطر على الهوية القومية، أما الطائفية لا تلغي الهوية الموحدة، لأن الهويات الوطنية القطرية، تصب في مصلحة الاستعمار الذي أسسها، ولمصلحة الرأسمالية التابعة التي خلقها الاستعمار وساهم في بلورتها وطورها، ودعم سيطرتها على السلطة في الأقطار العربية، ليتمكن من إبقاء هيمنته، لذلك نجد هذه الهويات، تبحث عن سند تاريخي لها، يفصلها عن الأقطار العربية، فمثلا الفرعونية، والفينيقية والكنعانية والبابلية وغيرها، جذور لها وجود في تاريخ الأقطار العربية[4].

ومن ناحية أخرى، تستعمل بعض الدول العربية التدخل الخارجي، كفزاعة

(1)- نفسه، ص39.

(2)- حامد خليل، "مستقبل العلاقات الثقافية والاجتماعية العربية – العربية"، شؤون عربية، عدد 93، مارس 1998، ص67.

(3)- عبد الفتاح القلقيلي وأحمد أبو غوش، الهوية الوطنية الفلسطينية: خصوصية التشكل والإطار الناظم، بديل /المركز الفلسطيني، بيت لحم 2012، ص14.

(4)- نفسه، ص15.

تستخدمها السلطة لضرب مطالب التغيير، أو تحويل المطالبة بحقوق مشروعة إلى مؤامرة على الوطن والدولة، وتخويف الجميع من الجميع، داخل بلدانها، فالصراع الطائفي الأهلي اليوم، مقدم على كل صراع آخر، ولو كان مع العدو[1].

وهكذا تكون الدولة القُطرية قد فشلت سياسيًّا واجتماعيًّا في الاهتداء، بنموذج الدولة الوطنية في الغرب، فلم تستطع أن تكون دولة الديموقراطية والمساواة، بل ظلّت سياسياً، دولة الدكتاتورية، واجتماعياً دولة العصبيات، وبالتالي لم يحصل الفرد العربي على حقوق المواطنة، في الوقت الذي تطالبه فيه هذه الدولة، أو تلك، بأن يكون مواطناً من حيث الواجبات، فكان ذلك وجها آخر من أزمة الهوية[2]. ولهذا تأزمت هوية المواطن العربي بين القُطرية والعالمية، وبقي مشتتا بين الإثنين، حائرا تائها، لا يدري إلى أين يتجه، ولا يعرف ما يخبئه له القدر غدا، خاصة وأن الأمم المتحدة، قدمت نص إعلان بشأن حقوق الأشخاص، المنتمين إلى أقليات قومية، أو إثنية وإلى أقليات دينية ولغوية[3].

وللأسف، الهوية العربية والإسلامية اليوم، قائمة على الدفاع ورد الفعل، وليست هي فعل واع وفعّال، فهذه الهوية تخضع إلى الظرفية، والعمل الارتجالي، وتثور للمساس بعناصر هويتها من الخطر الخارجي، وتسكت عن الخطر الداخلي، وتتعامل معه بسذاجة كبيرة، بحسب حجم وعيها، ومقدار ثقافتها، وقربها وبعدها من مركز الخطر.

وبمعنى آخر فالاستعمار الغربي هو الذي وحدّ العرب والمسلمين في نظرتهم للهوية، لأن في منظورهم الهوية كانت تساوي وحدة الكلمة، والصف والقرار والنضال، أما بعد التحرر من الاستعمار الغاشم، ونيل الحرية والاستقلال، فقد تعطل هذا النوع من الهوية، وانقسم العرب والمسلمون إلى هويات متصارعة متناحرة، فظهرت جميع عيوب الأمس، بل صارت بعض الدول العربية تتحالف مع هويات أجنبية، ولا تنسق حتى لا أقول تتحالف مع هويات عربية من فصيلتها، بل وتتآمر عليها، لا لشيء إلا لأن حب الزعامة أعمى بصرها وصارت لا تميز بين الصديق والعدو، والأغرب ممن ذلك، أنها

(1)- بدر الإبراهيم، المرجع السابق، ص10-11.

(2)- نفسه، ص60-61.

(3)- انظر ما اعتمدته الجمعية العامة في قرارها 47/135 المؤرخ 18 كانون الأول/ديسمبر 1992.

أصبحت تتغوّل على جيرانها من أبناء هويتها بوضع يدها بيد عدوها من أجل تهديد الأمن القومي لجيرانها.

٧-سبل القضاء على الهوية الطائفية:

وأما فيما يتعلق بالحلول المقترحة لمشكل الطائفية، فهو يتمثل بداية في حل هذه الأزمة من أساسها، وهو الفصل بين ما هو سياسي وطائفي، بمعنى آخر عدم تسيس الطائفية، وذلك بإبعاد الطائفة عن لعب دورها كجماعة سياسية، لكي يتسنى للفرد في المجتمع أن يفكر كمواطن كامل المواطنة، لا كشيعي أو سني أو إباضي، وبذلك يخرج الجميع من ضيق الطائفة إلى سعة الوطن، وهذا طبعا لن يتحقق إلا إذا سادت في المجتمع قيّم المواطنة والحرية[1].

وكذلك تعد الهوية الثقافية جزءا هاما من الحل، للقضاء على مشكل الطائفية، فماذا نقصد بالهوية الثقافية وماهي معالمها وتمظهراتها؟، أي نعم، هناك علاقة وثيقة بين الهوية والثقافة، تختفي الهوية الفعالة عندما تندثر ثقافة أمة من الأمم، أو يخفت صوتها، إذن هناك علاقة جدلية قوية بين الهوية والثقافة، تحيا بحياتها وتموت بموتها، لذلك من باب التوضيح كان الأجدر بنا طرح السؤال القديم الجديد: هل تنشأ الهوية من الطائفية؟، وقد أجاب على جزء من هذا السؤال الدكتور حنفي بن عيسى قائلا " أليست الطائفية خطرا على وحدة الأوطان التي تتكون من عدة طوائف، كما هو موجود في كل من سوريا والعراق ولبنان واليمن وبعض دول الخليج، فالطائفية هي إنكار للوطنية والمواطنة معا، لأنها تقوم بتقسيم المواطنين على أساس طائفي، وعليه فالطائفية ولاء تاريخي، وليس هوية، وإن نظام المحاصصة في لبنان في الحقيقة، هو نظام يغلب الطائفية على المواطنة"[2].

وعن سؤال مهم يتعلق بأهمية الهوية الثقافية، ودورها في عدم الوقوع في فخ العولمة، نتساءل بدورنا عن أي ثقافة نريد في عصر العولمة؟، فها هو الكاتب السعودي شفيق العبادي، قد أغنانا عن الإجابة، لما قام بصدق وأمانة بتحديد المعالم الرئيسية

(1)- نفسه، ص14.

(2)-حسن حنفي حسنين، الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2012، ص65-66.

الكبرى لهذا النوع من الثقافة والهوية معا، قائلا " نريد ثقافة ترى بعيني زرقاء اليمامة[1]، وتقرأ ما خلف السطور، وتضع الأمور في حجمها المناسب، بعيدا عن كل المزايدات والتطبيل، ثقافة تميز بين السراب، وهدير الماء، ثقافة ضاربة جذورها في عمق التاريخ، وتعتز بهويتها، وتؤكد عليها، ولا بأس بعدها، من الانفتاح على مختلف الثقافات والتيارات، للتأثر والتأثير، ثقافة تنبع من إنسانية الانسان، لا من صنمية الألة، ثقافة متسامحة مرنة، تستوعب كل الأصوات، والألوان، وكل الاجتهادات"[2].

وأما الفهم الصحيح للهوية الثقافية عند المفكر محمد الجابري[3]، فهي التي تكون حجر الزاوية في تكوين الأمم، لا لشيء إلا لأنها تكون نتيجة تراكم تاريخي طويل، وبالتالي فلا يمكن تحقيق الهوية الثقافية بمجرد قرار، حتى ولو توفرت الارادة السياسية، أما الوحدة الاقتصادية بخلاف ذلك، فلا تتطلب تراكما تاريخيا، وإنما تحتاج فقط إلى قرار سياسي شجاع[4].

ونظرا لواقعنا العربي والإسلامي المر، فالحال البائس لأوضاعنا في هذا الباب، يحتم علينا التحذير من الانعكاسات السلبية لمسألة الطائفية، فللطائفية مخاطر كبيرة على الفرد والجماعة، بل والدولة والأمة بدرجة أكبر، وإن لم تتحرر الأوطان العربية والإسلامية من طائفيتها، فتكون وبالا على الآخر المخالف لها في الفكر والثقافة والسياسة، فعلى حاملي الخطاب الطائفي المتطرف والمتعصب، أن يتحللوا من فكرهم الاستبدادي التسلطي، ويجب عليهم أن يقوموا سريعا بمراجعة أسس بناء طائفتهم، ونقد عقل مؤسستهم، فالحل الأمثل هو إشاعة الحرية بين جميع مكونات المجتمع، خاصة وأنه "حينما تنعدم الحرية يتضاءل النور، ويهيمن اليأس، ويستقطب الظلام

(1)- بعيدا عن صدق هذه الرواية من عدمه، فقد جاء في الأثر بأنها إمرأة من اليمامة كانت العرب تضرب بها المثل لجودة بصرها وبصيرتها وحد نظرها.

(2)- شفيق العبادي، "أي ثقافة نريد في عصر العولمة"، مجلة الكلمة، عدد 24، السنة السادسة، بيروت 1999، ص135.

(3)- محمد الجابري (1936-2010)، مفكر وباحث مغربي، من أهم مؤلفاته: نقد العقل العربي، العصبية والدولة، مسألة الهوية...، وترجمت أغلب كتبه إلى عدة لغات عالمية.

(4)- محمد عابد الجابري، مسألة الهوية :العروبة والإسلام..والغرب، ط4، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2012، ص11.

اليائسين والبائسين والراغبين في التغير، يرفضون السائد، ويخطّطون لإسقاط أنظمة الجور، ونجد في كل الحضارات، حركات سياسية خططت لتغير أنظمة الحكم بالقوة، ولم يعد اهتمام هذه الطوائف الحصول على حريتهم، بل أصبحت تهدف إلى إسقاط الانظمة، وتغير المجتمع فقط، وفي هذا السياق يندرج العنف الطائفي"[1].

ويجب علينا كمسلمين أن نحصن الأجيال القادمة من هذا المرض العضال، وهذا البعبع الطائفي المخيف، والمهدد لكينونة المسلمين الذين اكتووا بنيران هذا السرطان القاتل، المتمثل في التعدد الهويتي، المؤدي إلى الخطاب الطائفي الإقصائي، الذي يتسم بالغلو والحقد والكراهية، وينبذ التسامح والتقارب والتضامن، وحوار الثقافات والحضارات والأديان، وبالتالي فلا بد من إشراك الخطاب المسجدي التربوي التوعوي، في الحد من خطورة ما يعانيه العالم العربي والإسلامي اليوم، من مشكل عويص هو فقدان الهوية والانسلاخ منها، والتذمر منها والكفر بها أحيانا، لا لشيء إلا لأن طائفة من المجتمع العربي تأثرت وتشبعت بأفكار وتيارات فكرية هدامة غربية إلحادية وتغربية وعلمانية ومثالية ووجودية - مع التنويه هنا بغياب مشكل الطائفية في الجزائر وشمال إفريقيا عامة لعموم المذهب المالكي- ومما زاد الطين بلة، فقد عملت على تأجيج الطائفية البغيضة، وسائل الإعلام المختلفة (العولمة الإعلامية، والثقافية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية).

وهكذا فإن مسألة الهوية الطائفية، بقدر مساهماتها في جمع عناصر طائفتها، بقدر ما تعمل أحيانا على الابتعاد عن مسألة الهوية الجامعة المانعة، والتي تحتوي على فضاء هويتي يتسع للجميع دون تهميش أو إقصاء لأية مكون من مكونات المجتمع العربي الإسلامي الغني بانتماءاته الدينية والعرقية والجنسية والمذهبية والطائفية والقومية، خاصة وأن مصطلح الغيرية هو نفسه أو قريب من مفهوم الهوية، وأن الآخر يعد من أهم أبعاد الهوية.

ومما يجب التأكيد عليه هو أن تمدد الفكر الطائفي، والتعدد الهوايتي القاتل الذي يرفض الوحدة الوطنية والتوحد السياسي، من دون أن ننسى الدور الهام والخطير الذي

(1)- علي بن مبارك، المرجع السابق، ص 63.

يمكن للمدرسة أن تلعبه في الحد من الفكر الطائفي والقضاء عليه تدريجيا فكرا وسلوكا ومنهجا، وذلك من خلال تدريب أطفالنا وشبابنا على الحوار وتعويدهم على ثقافة الاختلاف والتعدد المفضي إلى التنوع الغني الإيجابي، وعلى ضوء هذا الأساس الواضح "نرى ضرورة تجريم العنف الطائفي، ولا نقصد بالتجريم التنديد بالعنف وحسب، وإصدار البيانات الرافضة له، بل نقصد أساساً، اتخاذ إجراءات قانونية، وهيكلية ملزمة على مختلف الأصعدة الدولية، والإقليمية، والمحلية[1].

وفي هذا الاتجاه اقترح الأستاذ امبارك حامدي، عدة خطوات لامتصاص الخطاب الطائفي، والمذهبي المغلق، وذلك بالعمل على تدجينه والاستفادة من وجوده، بتخصيب فكره وثقافته، وهي : الاعتراف بالاختلاف لا إخفاؤه، و توسيعها وإدماجها في ما هو أوسع منها، بإفراغها من محتواها السلطوي عموماً، والسياسي على وجه الخصوص[2].

وما يمكن الإشارة إليه، الحذر كل الحذر من خطورة الإعلام الطائفي على الهوية الوطنية، كما يجب انخراط جميع مكونات المجتمعات، والدول العربية الإسلامية جميعها في سياسة محاربة جميع أشكال التمييز الديني، الجنسي، العرقي، الطائفي، والقومي، وإشاعة ثقافة العيش المشترك، وتحقيق العدل والمساواة بين الجميع، دون تغليب طائفة على أخرى، أو الميل والانحياز لجهة على حساب جهة أخرى، من دون وجه حق.

وفي نهاية النهاية نقول، إذا أردنا شعبا وحكاما أن تتحقق الهوية العربية والإسلامية الموحدة أو الجماعية، فأول عمل يجب القيام به هو، إتباع سياسة التفاهم، والحوار، والتعاون بين جميع القوميات والأثينيات التي يتكون منها الإطار العام للمكون السياسي والاجتماعي للدولة الواحدة، بمعنى آخر هو، إتباع سياسة تشاركية في كل شيء لتحقيق سياسة العيش المشترك، واعتبار المكون الآخر المختلف صديقا، ومكملا، وأصيلا، أصالة هذه الأوطان المغلوبة على أمرها منذ وقت طويل، تطبيق معادلة واحدة وهي : الولاء للوطن والانتاء إليه، والله واحد والوطن للجميع.

(1)- نفسه، ص 64.

(2)- امبارك حامدي، الطائفيُة ّ في اللغة والاصطلاح: بحث ّ في الجذور والمرتكزات وآفاق التجاوز، سلسلة ملفات بحثية، الطائفية، الدراسات الدينية، إشراف بسام الجمل، يوليو 2016، ص91.

خاتمة:

وبعد دراستنا وتحليلنا لأزمة وإشكالية الطائفية في العالم العربي والإسلامي اهتدينا إلى بعض الاستنتاجات التالية وهي:

- يبقى الحل كل الحل معقود بالدرجة الأولى على النخب السياسية والفكرية والثقافية التي من المفروض أن لا تتسامح أو تتقاعس في تصويب وتصحيح الانزلاقات القاتلة التي حدثت في مسألة الهوية العربية والإسلامية، وعدم السكون على من يتطاول على مكتسبات الأمة في بناء هويتها وإعادة هندستها من جديد، فالهوية ليست انغلاقا كليا على التراث، ولا هي انفتاحا شاملا على عالم ما بعد الحداثة؛ لأن الهوية الصحيحة هي التي تعيش بحياة الزمن في أبعاده الثلاثة: الماضي، الحاضر، والمستقل، وعليه يجب على العرب والمسلمين معا، الإجابة الصريحة والواضحة على السؤال الإجباري التالي الملغم والمفخخ وهو: الهوية، والعولمة تفاضل، أم تكامل؟

- إن بناء الدولة القوية المعاصرة، لا تنجح في إرساء أسس هوية وطنية جامعة، تجمع مكونات الشعب المختلفة، إلا أن تكون بعيدة كل البعد عن الفكر الطائفي المتعصب، لأن تعدد الولاءات الطائفية والمذهبية، خطر على مستقبل الوحدة الوطنية والقومية التي تحاربها العولمة الثقافية والإعلامية .

- وللوقوف صفا واحدا أمام أخطبوط الطائفية وتعدد الهويات، ومن باب خطورة السكوت عن قضية الطائفية، يستوجب علينا بناء هوية وطنية أو بناء روح المواطنة والشعور بالهوية الواحدة من خلال الاعتزاز بمقومات الأمة التي يجب النأي بها عن كل خلاف ديني، سياسي، أو ثقافي، وهذا لن يتأتى إلا من خلال تكريس نظام المؤسسات المبني على الديموقراطية التامة الاركان.

المصادر والمراجع:

(1) الإبراهيم بدر، النزاعات الطائفية في منطقة الخليج، الدوحة 2012 .
(2) أبو عنزه محمد همر أحمد، واقع إشكالية الهوية العربية بين الأطروحات القومية والإسلامية "دراسة من منظور فكري "، رسالة ماجيستير في العلوم السياسية، إشراف الدكتور غازي الربابعة، كلية الآداب والعلوم السياسية، جامعة الشرق الاوسط 2011 .

(3) ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة هوا،، ط1، دار صادر بيروت، ج15، 2003.

(4) أدونيس علي أحمد سعيد إسبر، الهوية غير المكتملة، بالتعاون مع الروائية الفرنسية شانتال شواف، تعريب حسن عودة، بدايات للطبع والنشر والتوزيع، دمشق 2005.

(5) بسيسو عبد الرحمن، " هياكل فارغة النخب والناس "، مجلة الجديد، العدد3، أفريل/نيسان، العراق 2015

(6) بعلبكي أحمد وأخرون، الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، تحرير وتقديم رياض زكي قاسم، سلسلة كتب المستقبل العربي(68)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2013.

(7) بن مبارك علي، "الطائفية ومقومات الخطاب الطائفي: تأملات واستشرافات"، سلسلة ملفات بحثية، الطائفية، الدراسات الدينية، إشراف بسام الجمل، يوليو 2016

(8) الجابري محمد عابد، مسألة الهوية العروبة والإسلام.. والغرب، ط4، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2012.

(9) جبران هشام، "الخصوصية الثقافية في المجموعات البؤرية: نحو بناء آليات عمل جديدة"، مجلة الحصاد، عدد5، الكلية الأكاديمية بيت بيرل، 2015.

(10) حامدي امبارك، "الطائفيُة ـ في اللغة والاصطلاح: بحث ـ في الجذور والمرتكزات وآفاق التجاوز"، سلسلة ملفات بحثية، الطائفية، الدراسات الدينية، إشراف بسام الجمل، يوليو2016.

(11) حسنين حسن حنفي، الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2012 .

(12) حسين موسى، الطائفية بين السياسية والدين، المركز الثقافي العربي، 2009.

(13) خليل حامد، "مستقبل العلاقات الثقافية والاجتماعية العربية – العربية"، شؤون عربية، عدد 93، مارس 1998.

(14) العبادي شفيق، "أي ثقافة نريد في عصر العولمة"، مجلة الكلمة، عدد 24، السنة السادسة، بيروت 1999. خليل حامد، "مستقبل العلاقات الثقافية والاجتماعية العربية – العربية"، شؤون عربية، عدد 93، مارس 1998

(15) عرار خالد وفادية إبراهيم، "تعاطي المديرين والمعلمين مع قضية التربية والتعليم العربي مع قضية التربية للهوية القومية "، مجلة الحصاد، عدد5، الكلية الأكاديمية بيت بيرل، 2015.

(16) عمارة محمد، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، سلسلة " في التنوير الإسلامي، ع 32، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1999.

(17) الكفوي أبو البقاء، الكليات، تحقيق د. عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت 1995 .

(18) لونيسي رابح، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصر بين الاتفاق والاختلاف 1920-1954، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2012 .

(19) القلقيلي عبد الفتاح وأحمد أبو غوش، الهوية الوطنية الفلسطينية: خصوصية التشكل والإطار الناظم، بديل /المركز الفلسطيني، بيت لحم 2012.

(20) متري طارق، "عن المواطنة في لبنان"، عدد631، مجلة العربي، الكويت جوان 2011.